الاعتكاف - والاعتصام- والاحتقان.. والعرجاء- والمرجاء-ومريضة البدن .. والمقارنة بينهما

واحد وأربعون عاماً مضت على استشهاد أولاد المناضل عبد القوي حسن عبد الرحمن مكاوي في يوم 1962/2/27م وقليل الذين يعرفون عن هذا اليوم المشؤوم الذي تنكرت له الأنظمة التي تعاقبت على حكم الشطر الجنوبي قبل 22 مايو 1990م وجعلته يوماً منسياً لكون أب الشهداء هو الأمين العام لجبهة تحرير جنوب اليمن المحتل(FLOSY)الذي صنف من قبل النظام الشمولي ثورة مضادة.

وبالعودة إلى العنوان أعلاه وأثناء الحرب العالمية الثانية أطلق المذيع العراقي الجنسية علي هاشم رشيد من إذاعة صوت المانيا في برلين تسمية العرجاء-والمرجاء-ومريضة البدن.. على كل من سلطنة الحواشب-ومشيخة العلوي-وإمارة الضالع- عندما أعلنت مجتمعة وقوفها إلى جانب الحلفاء ضد دول المحور بقيادة المانيا وقائدها ادولف هتلر. فاذا كان اليوم هناك من يدعو إلى إعادة عجلة التاريخ إلى الوراء من خلال تصريح مدفوع الجر نشره سلفاً أو مقابلة مع قناة فضائية معروف من يمولها فإنهم لا ولم ولن يستطيعوا ان يغيروا قيد أنملة في عجلة التاريخ اليمني سواء كان ذلك عن طريق العرجاء والمرجاء ومريضة البدن التي لم تستطع التغيير من مجرى الحرب العالمية الثانية أو من يقف خلفهم من أعداء للثورة والجمهورية والوحدة التي تحطمت آمالهم تحت إرادة وتصميم الشعب اليمني في اصرارة على بناء مستقبله ولا ندري نحن الذين اكتوينا بحكم الرفاق ونظرتهم إلينا بأننا ثورة مضادة وهم لا يعترفون بالآخر، كما عرفناهم في المراحل السابقة ابتداء من سطوهم على مرحلة الكفاح المسلح والمراحل التي لحقتها حتى نيل الاستقلال: وقد ادخلوا شعبنا في حكم لا يعرف التاريخ له مثيلاً في العصر الحديث من سحل ونهب ومصادرة أموال وأملاك وحقوق الآخرين، فتصالحهم وتسامحهم فيما بينهم فهذا شانهم في إطار اليمين الرجعي واليسار الانتهازي والزمرة والطغمة، كما كانوا يطلقون على بعضهم هذه التسميات بعد كل وجبة يقدمونها، وسيظل تسامحهم وتصالحهم محصوراً عليهم كما عرفناهم في المراحل السابقة، فها هو يوم 11/ فبراير 1959م الذي هو يوم تأسيس اتحاد الجنوب العربي، وختم فيه الشهيد مهيوب علي غالب " عبود" بدمه الطاهر علي تربة مدينة الشيخ عثمان ضد المستعمر البريطاني في 11 فبراير 1967م.. مؤكداً واحدية الثورة اليمنية 26 سبتمبر 1962 و14 اكتوبر1963م وفي يوم 27 فبراير 1967م هو يوم سقط فيه أولاد المناضل عبدالقوي مكاوي، شهداء، والحدثان احلاهما مر بالنسبة لدعاة الجنوب العربي، وهاهي قصة الشهداء الذين سقطوا على يد الغدر والخيانة في يوم 27 فبراير1967م: (كما يرويها الكاتب البريطاني ديفيد ليدجر في كتابه (الرمال المتحركة).

لقد كان الموعد هو وقت تناول وجبة العشاء وكانت الشوارع مهجورة تقريباً وكان هناك بعض أولاد الشوارع يلعبون لعبة الحجلة عند ناصية احد الشوارع بينما كانت سيارات الأجرة السوداء والصفراء تمر من حين لآخر أملا في إيجاد راكب متأخر للحصول على أجرة اكبر، وعند الساعة السابعة مساء كانت معظم العائلات تستقر في منازلها لقضاء ليلتها مفضلة الاستمتاع بتلفزيون عدن على مخاطر الطرق المؤكدة.

وفي احد البيوت الفخمة التي في ضواحي المدينة حدث ان أخرجت امرأة كانت تعد طعاما العشاء لعائلتها رأسها لتنظر خارج النافذة رأت رجلين متسلقين فوق جدار وكان عالياً تحتجب به النساء ويحيط بالمنزل وكانا يبذلان مجهوداً جباراً لوضع شحنة كبيرة من المتفجرات وصرخت المرأة عالياً فهرب الرجلان في الحال وخرج أولادها الثلاثة من المنزل لمعرفة سبب تلك الضجة وتوجه الابن الأكبر إلى منزل صديق وجار للعائلة هو السيد حامد خان، مساعد مأمور شرطة عدن، وعاد بسرعة ومعه شرطيان، ونلاحظ من ذلك حديثاً قصيراً قام بعده احد الشرطيين بمساعدة بدوي كبير في السن كان من المفروض ان يكون قائماً بأعمال الحراسة بحمل المتفجرات بحيطة وحذر شديدين إلى الخارج وإلقائها على قارعة الطريق.

لقد كان بالإمكان سماع الانفجار على بعد 12 ميلا أي في دار الحكومة حيث كان السير رتشارد تير نبول، على وشك تناول طعام العشاء وبعد ان استقر غبار الانفجار وجد الابناء الثلاثة لبعد القوي مكاوي، احد القادة السياسيين في جبهة تحرير جنوب اليمن المحتل مقتولين إلى جانب حارسهم والشرطيين، لقد كان السيد مكاوي رجلاً ظريفاً وحلو المعشر فاشلا في نفس الوقت فكم من مرة يا ترى تأسف خلال السنتين الماضيتين لتركه عمله المريح؟ وفي هذا الوقت بالذات كان مكاوي غارقاً في مياه أكثر عمقا من قامته لقد برهنت اساليبة المحاسبية التي تعلمها في مكتب المحاسبة في عدن على إنها فاشلة فشلاً ذريعا لدى تطبيقها على أساليب رجال القبائل في داخل البلاد، فلم يخرج طيلة حياته إلى ابعد من حدود عدن وكانت تربكه الطبيعة المعقدة والساذجة لأولئك الناس الذين كان يتوجب عليه التعامل معهم(1) فلا عجب إذن ان يفضل فيلته الباردة والمكيفة بالهواء في القاهرة على القيام بحملة في جبال عدن الوعرة.

وفي عدن أحب الناس السيد مكاوي، وكانوا يتعاطفون معه كما اعتبروه رجلاً غير مؤذٍ وضحية ظروف خارجة عن إرادته لقد صعق الجميع عند قتل أبنائه إما البعض الذي شعر بأنه جلب الكارثة لنفسه بموافقته غير العلنية على عمليات القتل المتعمدة التي كانت تنفذ باسم الجبهة التي كان ينتمي إليها فقد احتفظ بآرائه لنفسه بهذا الخصوص.

ويحب العدنيون إقامة المآتم المهيبة فهم إلى حد ما، يشبهون الايرلنديين في نظرتهم للموت، وفي الماضي أقاموا أكثر مظاهر الحزن تأكيداً لأشخاص كانوا ابعد الناس عن نيلها وبهذه المناسبة لم يكن هناك من شك بان يتجلى شعور العطف الحقيقي نحو عائلة مكاوي، وكان المشاغبون من جبهة تحرير جنوب اليمن المحتل المنشقة من اجل الحصول على التأييد وقد كانت هذه الفرصة لا يمكن ضياعها من اجل التجمع معاً في مظهر رائع من التضامن العام.

اللواء/ سالم علي ناجي بن حلبوب

وخلال الليل كان الشبان الصغار الذين يرتدون القمصان البيضاء ينتقلون من منزل إلى آخر لتنظيم وتنسيق جنازة الغد، بينما أمضت أمهاتهم وشقيقاتهم الليل وهن يخيطن الإعلام ويرسمن الشعارات على اللافتات، ولكي لايسبقها احد أدانت الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتل عملية القتل ووعدت بإرسال وفد لتشييع الجنازة بينما أعلن مؤتمر النقابات العمالية العدني الموالي لجبهة تحرير جنوب اليمن المحتل الإضراب العام والحداد ليوم على الضحايا وبالطبع وجه اللوم إلى البريطانيين، وأعلنت إذاعة القاهرة ان لديها دليلاً قاطعاً على ان المخابرات البريطانية هي المسؤولة عن القتل وامسك مكاوي نفسه المذياع في صنعاء عاصمة اليمن ليهدد بالثأر من(القتلة الامبرياليين) وعلى الرغم من كل هذا الضجيج وهذه الدعاية كان لدى معظم الناس شعور خفي زائد بأن المجرمين الحقيقيين هم من بين أصحاب الوجوه القاسية المزيفة الذين تجمعوا تحت أعلام الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتل من أجل تشييع الجنازات في مدينة كريتر العربية الحارة في اليوم التالي.

ولوقت مضى كانت القيادة العليا لجبهة تحرير اليمن المحتل ومساندوها من المصريين يتهالكون بشدة على توحيد كافة المتطرفين في منظمة واحدة، وخلال تلك العملية كانوا يصفون بهدوء بعض الأشخاص تمرداً من بين مؤيدي الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتل ونتيجة لذلك فقد حذرت الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتل مكاوي سراً إنها سوف تنتقم منه أن لم يضع حداً لهذه السياسة، لقد عقد رجالها النية على تنفيذ هذا الهجوم القاتل لتأكيد انتقامهم دون أن يفكروا مسبقاً بكامل النتائج التي ستسفر عنه.

ولابد أن يكون العديد من أولئك الذين تجمعوا بعد الظهر من ذلك اليوم الحار في كريتر قد اشتبهوا في حقيقة الأمر على الرغم من أن احد المؤيدين البارزين لجبهة تحرير جنوب اليمن المحتل(3) قد قتل قبل يومين فقط من الوقت الذي كان لا يزال يعتبر فيه تأكيد على وجود خلافات في صفوف الثوريين ضرباً من الهرطقة وقد بذل كلا الجانبين جهداً جهيداً من أجل الإبقاء على المظهر الخارجي للوحدة، ولكن على أي حال كان هناك المزيد من كباش الفداء المعرضين للهجوم والجزاء.

ولم تكن رابطة الجنوب العربي تشعر بتاتاً بالسرور لمشاركتها الاصنج في منظمة تحرير الجنوب المحتل (اولوس) لقد كان الاتحاد بينهما قصير المدى لان الرئيس جمال عبدالناصر لم يكن ينظر نظرة عطف على العادة التي كانت تمارسها الرابطة من حيث قبول المال والمشورة من فيصل، ملك المملكة العربية السعودية.

وفي عام 1966م، قرر قادة رابطة الجنوب العربي العودة إلى عدن، وبقي الزعماء الحقيقيون في مصر لكي يروا كيف ستسير الأمور، وأرسلوا بدلاً منهم الثرثار شيخان الحبشي للاهتمام بشؤونهم، لكن الأمور هناك سارت بشكل سيء فمن ناحية لم ترغب الرابطة في مشاركة مسؤولية الحكم مع الحكومة الاتحادية، بينما في نفس الوقت كانت تتفق مع البريطانيين والسعوديين لقد طال تردد الحزب في الاختيار بين الأمرين في إضاعة كليهما وكان رجال الرابطة مكروهين من جانب المتطرفين(لخيانتهم للثورة) كما كانوا يعتبرون من قبل المصريين بأنهم عملاء للسعوديين ومن ناحية أخرى، كانت السلطات البريطانية والاتحادية لا تثق بهم لأنه لم يكونوا في مقدورهم بتاتاً أن يخرجوا من هذا الحاجز.

وهكذا بعد يوم من وفاة أبناء عبدالقوي مكاوي أثار وصول فريق صغير من مؤيدي رابطة الجنوب العربي للاشتراك في تشييع جنازات (الشهداء الثوريين) غضب المتطرفين وفي الحال بدأ تبادل الكلمات اللاذعة ونشبت المشاجرات تم تلا ذلك تمزيق علم رابطة الجنوب العربي ودوسه بالأقدم وسحب رجلان من رابطة الجنوب العربي مسدسيهما واطلقا عدداً من العيارات النارية على معذبيهم قبل ان يلوذوا بالفرار إلى مسجد مجاور وانطلقت الجماهير في صيحات معادية إلى مطاردتهم وأطبقت على هذين العربيين السيئي الحظ داخل المئذنة وبعد عراك قصير سيق الاثنان بعنف إلى أسفل حيث كان في انتظارهم حشد كبير من الناس قاموا بضربهما بوحشية حتى الموت بواسطة أخشاب قطعوها من صناديق تعبئة مجاورة وكانت شرطة عدن المدنية تقف مكتوفة اليدين وهي تشاهد ما يحدث وعرضت الجثتان وهما لا تزالان تختلجان أمام المراسلين الدوليين بزهو وانتصار قبل ان يجرا في شوارع كريتر(3) حيث تدفق جمع سريع من النساء باتجاه معاكس لاحتفالات الجنازة بصقن عليهما تم قام أولاد الأزقة بركلهما بأقدامهم(4).

ولقد أفسدت هذه الانفعالات التنظيم المرتب ترتيباً حسناً للجنازة فلم يكن بإمكان طليعة المشيعين ان تتحول إلى الطريق المستقيم والطويل المؤدي إلى جامع العيدروس أقدم أشهر الأماكن الدينية في عدن الا بعد الساعة الرابعة لقد كان جامع العيدروس بتاريخه القديم ومئذنته العالية التي كانت تقف شامخة بلونها الأبيض مقابل الستار الأسود المكفهر من التلال المحيطة اختياراً طبيعياً لمكان الدفن لقد حملت النعوش الستة المغطاة بأعلام الثورة العربية الحمراء والبيضاء والسوداء ببطء عبر الشارع ترافقها الهتافات (مكاوي)،(مكاوي) وكانت تلك الهتافات تقوي بإطراد لدى رد الجموع التي بلغ عددها10.000 شخص على التعليمات الماهرة لمواجهي الهتافات فضلاً عن جبهة تحرير جنوب اليمن المحتل والجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتل فإن معظم النقابات والنوادي الرياضية كانت ممثلة في مراسم التشييع وسارت كل فرقة تحت علمها ورفع الكثيرون من مؤيديها عالياً صورة مكاوي وأولاده إما أكثرها تاثيراً فكانت كتلة تضم 500 امرأة كن يرتدين العباءات السوداء(5) لقد كانت أصواتهن الحادة وهن يصحن مطالبات بالثأر تطغى على أصوات الجميع.

ولدى وصول الجموع إلى المسجد، ارتقت المشاعر إلى ذروتها فقد ارتفعت الأصوات بالأناشيد ودقت الأرض بالأقدام تزايدت شدتها حتى بلغت القمة وكان الناس جاهزين لأي عمل وانتشر فريق من الشبان كان يتحين الفرصة المناسبة طيلة بعد الظهر عبر الطريق على شكل حاجز لمنع أي تشتت في الصفوف، وانطلق الأولاد الصغار مهرولين ذهاباً وإياباً لتوزيع الماء على العطش من المشيعين وفجأة عندما أدخلت النعوش إلى المسجد الواجم- ساد السكوت في لحظة حق- وهي اللحظة التي يبدو فيها العالم بأسرة واقفاً وقفة التفكير والتأمل، واستغل المشاغبون ومثيرو القلاقل تلك الفرصة استغلالاً كاملاً، وفي الحال ارتفعت صيحات مجهولة قائلة(لتسقط الرابطة) (الموت للخونة) ورددتها على الفور آلاف الأصوات ثم تحولت الجموع بكاملها نحو الطريق واتجهت إلى مقر رابطة الجنوب العربي الذي كان يبعد حوالي نصف ميل عن المسجد.

لقد كان مقر رابطة الجنوب العربي في عدن عبارة عن مبنى طويل من طابق واحد محاط بجدار عال ويقع في إحدى ضواحي المدينة، وسمع مسبقاً حوالي 20 عضواً من الرابطة يبحثون أحداث اليوم الأخبار عن نوايا الجموع القادمة واتخذوا لهم مواقع على السطح وإذا تبين لهم أن كافة وسائل الهرب قد سدت في وجوههم ألقى شيخان الحبشي المبدع في خطبه كلمة حماسية فيهم واستعدوا بأنواع مختلفة من الأسلحة للدفاع عن أنفسهم حتى الرمق الأخير.

وقام واحد منهم لم يفقد اتزانه بالاتصال تليفونياً مع شرطة عدن المسلحة للمطالبة بالحماية بينما تبارى الباقون بإطلاق النيران بشكل عشوائي على الطريق الذي كان يحتمل ظهور الجموع القادمة عليه، ولقد كان لصوت إطلاق النار لمنظر عربتين من رجال الشرطة المسلحة الذين كانوا يرتدون الخوذات الفولاذية والأحزمة السوداء وهم يسرعون نحو مبنى رابطة الجنوب العربي تأثير في إعادة الحشود الزاحفة إلى رشدها بحيث أن الجزء الأساسي من اتباع جبهة تحرير جنوب اليمن المحتل والجبهة القومية لجنوب اليمن المحتل هو الذي واجه الحاجز الذي أقامته الشرطة على عجل خارج بوابة رابطة الجنوب العربي المصنوعة من الحديد المطاوع، وقد قامت الرابطة نفسها بإنهاء تلك الفترة المؤقتة من توقف اندفاع المهاجمين بفتح نيرانها المتواصلة عليهم وقتل ثلاثة منهم.

وبعد ذلك قام كل واحد بإطلاق النار على الآخر وخلال الدقائق الخمس التالية تضاعفت الفوضى والارتباك ولم يضع نهاية لها سوى وصول فرقة نورثمرلاند فوزيليرز الملكية في الوقت المناسب فقد قامت بسرعة وبنشاط بتفريق الحشود وأوقفت القتال وفي الحال توارى المسلحون من الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتل وجبهة تحرير جنوب اليمن المحتل عن الأنظار، وجابهت القوات منظراً عجيباً ضم كما بدالهم عشرين مسلحاً اخذوا يشكرون اللّه والبريطانيين على إنقاذ حياتهم.

وبطريقة صارمة ورهيبة دخلت القوات المبنى، وفي الحال تم تجريد رجال رابطة الجنوب العربي السيئ الطالع من أسلحتهم وأوقفوا عند حائط مقرهم بينما أخذ الجنود يفتشون المبنى.

وبعد عشرين دقيقة دق تليفون منزل احد المسئولين السياسيين البريطانيين لقد كان على الخط شيخان الحبشي الذي أراد التحدث إليه.

ثم حلت مكان اللهجة العربية لهجة جندي من فرقة " نورثمير لاندفوزيليرز" قائلاً للمسؤول البريطاني(مالذي تعنيه انه مسموح له بحمل مسدس، لكن لدى هذا المهرج اللعين(6) ألغام أرضية تحت مكتبه).

لقد تضمنت قائمة الأسلحة والمتفجرات غير المرخصة التي تم الاستيلاء عليها في مقر رابطة الجنوب العربي 36 قنبلة ثلاثية الفتيلة، ولغم تثبيت وثلاثة مسدسات وقنبلة مسيلة للدموع وصفيحتين من أدوات التفجير، وأربعة خزانات لمسدسات وكمية من الذخيرة المختلفة الأنواع.

ومن ناحية ثانية شعرت جبهة تحرير جنوب اليمن المحتل بالابتهاج فالنجاح الذي حققته في موكب الجنازة قد فاق كل توقعاتها واتهمت الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتل بأنها المسؤولة عن جريمة قتل عائلة مكاوي وتباهت صلفاً وغروراً بان القتلة سوف يلقون قريباً ما يستحقون من عقاب.

وفيما وراء المياه وداخل معقلها في عدن الصغرى درست الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتل ما ألمحت إليه تلك الإشارة الصادرة عن جبهة تحرير جنوب اليمن المحتل وخلال اجتماع زعمائها في الظلام الذي لم يكن يضيئه سوى الوهج المخيف المنبعث من الفضلات المشتعلة في مصفاة البترول الضخمة وتوصلوا إلى الاستنتاج بان الوسيلة للبقاء هي الاستمرار في حملة شاملة من القتل والتخويف ضد خصومهم في جبهة تحرير جنوب اليمن المحتل، وبهذا يستعيدون السيطرة على الحركة الثورية.

وفي عدن فتحت علبة بندورا(وهي المرأة التي أرسلها الإله زوس، حسب الأسطورة اليونانية، لمعاقبة البشرية، وأعطاها علبة ما أن فتحتها حتى انطلقت منها جميع الشرور) للانتقام ومنذ ذلك اليوم تفتت مختلف الطوائف والجاليات التي تجمعت في وقت ما لجعلها مكاناً مزدهراً وسعيداً إلى أجزاء متناثرة لقد بدأ حقاً الانحدار الأخير إلى مهاوي الفوضى وإراقة الدماء.

هوامش:

1-منهم أولئك الذين قذفوا الرئيس علي عبدا لله صالح ونائبة وأسرة ال الأحمر بالكلمات البذيئة أثناء حرب صيف 1994 وهم اليوم يتقدمون الصفوف باسم جبهة التحرير والذين وصفهم هيبر برسي بأنهم مثل السمك المجفف.

2-قتل سعيد حسن الصومالي، وزير الحكومة المحلية في وزارة مكاوي في المعلا في 26 فبراير.

3-ولقد لقي المصير نفسه أثناء حصار كريتر في يونيو قائد الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتل في حي كريتر.

4-كان احد الضحايا شقيق رئيس رابطة أبناء الجنوب العربي السيد محمد علي الجفري، وايضاً شقيق السيد عبدالرحمن الجفري رئيس رابطة أبناء اليمن " رأي" حالياً.

5-بعد عام من ذلك التاريخ بالضبط وفي 28 فبراير 1968 حاولت مجموعة من النساء يبلغ عددهن حوالي الثلاثين السير إلى المسجد لوضع أكاليل من الزهور على القبور الستة وفي دقائق معدودات انقض عليهن رجال الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتل وساقوهن بعيداً بواسطة سيارات لاندروفر، إما الأكاليل فقد أحرقت في الشارع.

6-يقصد بالمهرج اللعين، شيخان الحبشي.

(فلنترجم حبنا لرسول اللّه)

أسماء الحمزه محمد

واقعاً عملياً

الحديث عن سيد المرسلين الذي جاء رحمة للعالمين لما وصفة ربه" ما أرسلناك الا رحمه للعالمين" يحلو ويطيب بل يوقع المرء في حيره من اين يبدأ فجوانب العظمة في رسولنا متعددة فهو خير خلق اللّه وعظيم العلماء وخير المصلحين وموسوعة العلوم المستقاة من كتاب اللّه العزيز العليم ورائد القادة، فكيف لا وهو من تأدب بوحي رب العزة فاللّه هو الذي أدبه وعلمه فقد قال جواباً لسؤال الصديق صديقه الصدوق " ابوبكر خليفة رسول اللّه رضى اللّه عنه " لقد طغت العرب وسمعت نصائحهم فما رابت ولاسمعت مثلك احد فمن ادبك؟ " قال ادبني ربي فاحسن تأديبي وفيه يقول حسن بن ثابت شاعر الرسول:

واحسن منك لم ترقط عيني وأجمل منك لم تلد النساء خلقت مبرأ من كل عيب كأنك خلقت كما تشاءُ فمثل هكذا نبي بمولده ظهر نور اللّه في الأرض وكان مولدة حدثاً عظيماً. وعلام بارزة في سيرة الإنسانية ونقطة تحول في حياة البشر.. وثورة فجرت ينابيع التاريخ وغيرت معالم الدنيا بوضع قدم الإنسان على طريق الحق والخير لابد بل لازما ان يفوق حبه النفس والأهل والمال.. واذا كنا لذلك نحب من احب اللّه خير خلق اللّه واقدرهم على خدمة عباد اللّه لان خدمة الإنسان هي السيادة فقد قالها (خادم القوم سيدهم) مما لا شك فيه بأننا جميعا أمة الإسلام نحب رسول اللّه (صلى اللّه عليه وسلم) صغيرنا وكبيرنا البار والعاصي الصالح والطالح بمختلف المذاهب والطوائف حكاماً ومحكومين لان حبه أصل عظيم من اصول الإيمان.. ووجب عقلاً وشرعاً حبه بل تفوق حبه على النفس والولد والأهل والمال والجاه والناس أجمعين لما خصه اللّه من كريم الخصال وعظيم الشمائل، ولكن لابد ان نعلم يقيناً اننا اذا أردنا ان نقدم برهاناً على محبتنا ونصرة نبينا في هذه الأيام العصيبة والقاسية يجب ربط الإيمان بالقلب والإفصاح باللسان بالتصديق بالعمل أي ترجمة هذا الحب في واقع حياتنا.. بالتوظيف الايجابي للذكرى التي تأتي والأمة في سبات عميق ومازالت تأن من اللطمات الموجعة ليست من الرسوم المسيئة وحدها ولكن بالجرح النازف وسيظل من محرقة غزة التي يتباهى بها الصهاينة وينحني بل يزاد انحناء ظهر الأمة لتركبه الطواغيت وما آل إليه حال العراق ارضاً وانساناً وأحوال الأمة في كل بلاد العرب والمسلمين من ظلم وتجويع وتهميش وانتهاكات وتهم بذرائع ومبررات تضع في كثير من الأحيان المواقف المتخاذلة من قضايا الأمة والإنسانية من بقاع الدنيا وماأحوجنا في هذه الفترة العصيبة التي تمر بها الأمة ومن وحي ذكر ميلاد رحمة ربي للعالمية الذي يصادف الاحتفاء به هذا اليوم الخميس 12 ربيع أول في كل بقعة يجد فيها اثرً المسلمين والشرفاء في العالم.. إلى تجسيد هبة الغضب العارمة في نفوس الأمة وترجمتها إلى مشاريع عملية تطبيق على ارض الواقع .. كما تجسدت عقيدة الإيمان في حياة رسولنا الكريم وقائع عملية وصورها سلوك بالثبات المتجلى في اصدق مواقف التحدي والصمود التي وقفها رسولنا في وجه القوى الغاشمة التي حاولت التصدي لدعوة الحق خوفاً على المصالح الدنيوية والتي تفتقر إليها اليوم خوفاً من النعت بالإرهاب ذريعة الطواغيت في زمن منطق القوة بدل القوة المنطق زمن تكالب الأمم على امة الإسلام كما تتكالب الأكلة على قصصتها ليس من قلة كما قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ولكن ومن الوهن (كغثاة السيل).

والبرهان الحقيقي لحب رسولنا الكريم هو نصرة المظلومين من أمته والبشرية أجمعين فهول القائل وهو لاينطق عن الهوى بل وحي يوحى" لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه"

فهل نحب قتل اطفالنا وحصارهم بالطبع لا اذن فلنكن خير امة اخرجت للناس حقاً لنصرة اخواننا في غزة وكل البقاع الساخنة بمواقف سيد المرسلين.

تعقيب

تلقت 14 أكتوبر تعقيباً على مانشر في عدد الجمعة الماضي 2008/3/2م العدد 14059 بعنوان الرسول الأمي لا تعنى الجاهل للقراءة والكتابة جاء فيها..

الأستاذ/ احمد محمد الحبيشي رئيس مجلس الإدارة رئيس تحرير صحيفة 14 أكتوبر

حياكم اللّه وحفظكم

أطلعكم بأنني من قراء صحيفتكم ومن المعجبين بسياستكم في النشر وخصوصاً تنوع الموضوعات مما يفيد القارئ كما إنني معجب بكتاباتك التي تبرز فيها شخصيتك بما يدل على وعيك وسعة علمك واطلاعك على الموضوعات عن كثب.

أشار للموضوع اعلاه.. فقد جاء كاتب المقال بأمر لم يقل به الأولون من الأئمة والمجتهدين كما انه أراد ان يثبت امراً مخالفاً للحكم الثابت، وهو ان الرسول صلى اللّه عليه وسلم كان يعرف القراءة والكتابة والثابت عن الرسول صلى اللّه عليه وسلم انه كان امياً لا يعرف القراءة والكتابة وذلك بنصوص القرآن القاطعة التي تؤكد ذلك، لقولة تعالى:" وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون"(1).

في هذه الآية يخاطب اللّه الرسول صلى اللّه عليه وسلم بالقول: انك يا محمد لو كنت قارئاً كاتباً لشك فيك اليهود وقالوا: الذي في التوراة- أي النبي القادم الذي اخبرهم به اللّه- أمي لا يقرأ ولا يكتب(2) وعليه فان القول بغير ذلك يكون مخالفاً لما جاء في القرآن والتوراة.

كما ان في قوله تعالى: " سنقرئك فلا تنسى إلا ماشاء اللّه انه يعلم الجهر وما يخفى""3" ففي هذه الآية اللّه سبحانه وتعالى يخبر الرسول صلى اللّه عليه وسلم ان جبريل سيقرأ عليه القرآن فيجب عليه – صلى اللّه عليه وسلم- ان لا ينساه من نسخ تلاوته وحكمه، فكان يجهر بالقراءة مع قراءة جبريل خوف النسيان(4) فلو كان يعلم- صلى اللّه عليه وسلم- القراءة والكتابة لكان كتب القرآن حتى لا ينساه ويتيسر له حفظة.

كما ان الأحاديث المروية عن الرسول صلى اللّه عليه وسلم لم يأت فيها بخبر واحد يخبرنا ان الرسول صلى اللّه عليه وسلم كان يعرف القراءة والكتابة ولو كان يعرف لنقل لنا الصحابة ماعلموه كما نقلوا لنا صفاته واحكامة- صلى اللّه عليه وسلم- فكيف يمكن القول بغير ذلك؟

كما ان السيرة النبوية قد جاءت مفصلة لحياة الرسول صلى اللّه عليه وسلم من مولده إلى وفاته ولو كان صلى اللّه عليه وسلم تعلم القراءة والكتابة لكانت ذكرت كتب السيرة ذلك كما ذكرت مرضعته واسمها ومكان رضاعته كما ان التعليم من الأمور المهمة أيضاًوالذي ينبغي ذكره كذلك.

كما إنني أقول أن العلم الشرعي مثله مثل أي علم آخر مبني على أصول وقواعد ينبغي الالتزام بها حتى يمكن التواصل إلى نتيجة معينة، فعلم الرياضيات مثلا: فمن اجل حل معادلة معينة ينبغي فهم هذه المعادلة واشتقاقاتها حتى يمكن الوصول إلى النتيجة الصحيحة.

أما اذا جئنا باشتقاق غير صحيح وتوصلنا به لاى نتيجة فإن هذه النتيجة ستكون حتماً غير صحيحة وذلك ليس لوجود خلل في علم الرياضيات وانما كان نتيجة الاشتقاق الخاطئ او التصور الخاطئ.

فكذلك العلم الشرعي ايضا فمن اجل إثبات حكم او نفيه ينبغي الاستدلال بالآيات القرآنية وتفسيراتها الصحيحة وكذلك الأحاديث الصحيحة وشروحاتها وكذلك فهم الصحابة لهذه الآيات والأحاديث حتى يمكن استنباط حكم شرعي صحيح.

صحيح اننا قلنا ان العلم الشرعي مثله مثل أي علم آخر الا انه يزيد عن العلوم الأخرى ان له خصوصية خاصة لارتباطه بأمور العقيدة والعبادات لما لها من أهمية بالنسبة للإنسان المسلم كما ان الخوض في الأمور الشرعية بدون دليل فيه مساس بمشاعر الآخرين اياً كان هذا الدين لما للأديان من قدسية ينبغي عدم التعرض لها او لأنبيائها بأقوال مخالفة لما فيها أو لتاريخها.

كما ان المسائل الدينية في دول العالم اجمع لا يخوض فيها بالشرح او بالتفسير او باستنباط الأحكام الا المتخصصون بذلك كالفقهاء والباباوات والحاخامات فيكون القول من غير ما ذكرنا قولاً غير ملزم فاللّه سبحانه وتعالى يقول:" فأسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون (5) وذلك مما عندهم من علم يستطيعون من خلاله الإفتاء في الأحكام.

كما ان هناك امرا ينبغي الإشارة إليه وهو ان اللّه سبحانه وتعالى بعث كل نبي إلى قومه وايده بمعجزة بما شاع عندهم- أي قومه ومن أمر فبعث اللّه موسى إلى فرعون في الفترة التي شاع فيها السحر وكان للسحرة مكانة فكان تحويل عصا موسى إلى حية تاكيداً على إنها معجزة من عند اللّه وذلك عندما استيقن سحرة فرعون أن ماجاء به موسى هو إعجاز من اللّه الأمر الذي أدى بهم إلى الإيمان برسالة موسى، كذلك بعث اللّه عيسى ابن مريم في زمن انتشرت فيه الأمراض وتطور الطب فكانت المعجزة التي أيده اللّه بها هو قدرته على علاج الأمراض التي يعجز الطب عن علاجها في ذلك الزمن وفي زمننا الحاضر ايضاً وفي ذلك تأكيد على ان ما عنده من قدرة على علاج الأمراض إنما هو إعجاز من اللّه.

كذلك بعث اللّه سبحانه وتعالى محمد صلى اللّه عليه وسلم و أيده بمعجزة القرآن الكريم لما فيه من إعجاز وقد ثبت الإعجاز بتحدي القرآن للعرب- وهم أهل الفصاحة والبيان. المخالفين من ان يأتوا بمثل هذا القرآن (6).

ففي كل هذه المعجزات التي أيد اللّه بها أنبيائه لم يثبت عنهم صلوات اللّه وسلام عليهم إنهم قد تعلموا السحر أو القراءة والكتابة وذلك حتى لا يكون هناك مجال للتشكيك في هذه المعجزات التي أيدهم اللّه بها.

واللّه من وراء القصد

- هامش :

-1سورة العنكبوت الآية(48)

2 -تفسير الجلالين، للإمامين الجليلين جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر السيوطي وجلال الدين محمد بن احمد بن محمد المحلي، الطبعة الرابعة دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان 1989 الجزء الحادي والعشرون الآية(48) س 204.

3-سورة الأعلى الآية(7.6)

4 - تفسير الجلالين - مرجع سابق - الجزء الثلاثون الآية 6 - 7 ص 592

5-سورة النحل الآية(43)

6 - د . عبدا لكريم زيدان، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية الطبعة السادسة عشرة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان 2001م ص156.

معيد/ حسين محمد حسين لشعن
كلية الحقوق - جامعة عدن